



القَسَمُ فِي الْجُزْءِ الْثَلَاثِينَ - الْلَّقَاءُ الْأُولُ

المحاضرات

محاضرة في الأردن

2023-08-28

عمان

الأردن

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على نبينا الأمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

معنى أسلوب القسم:



القسم أو الخلف أو اليمين أسلوب من الأساليب العربية أيها الكرام، من الأساليب العربية **أسلوب القسم**، أو الخلف، أو اليمين، كلمات متراوفة، وبالمناسبة العرب سمووا القسم يميناً لأنهم كانوا إذا أقسموا على شيء أخذوا بأيمان بعضهم، بآيدي اليمين، يعني يمسك يمينه وبينك، فسمّي يميناً لأنهم يمسكون بأيمان بعضهم للنكاية على الالتزام بالقسم، فالقسم أو الخلف أو اليمين أسلوب من الأساليب العربية، والأصل في القسم أن الإنسان يقسم ليصدقه الآخرون، ليقرر حقيقة أو يدفع عنه تهمة، أو يجلب لنفسه خيراً، فينقسم، فيقول أمام القاضي: والله لم أكن في مكان الحادث، أو يقول لأخيه: والله لقد جئتكم ولم أجدر، يريد أم يتنصل من شيء، أو يكسب شيئاً فيقسم أو يخلف يميناً على شيء، وصلى الله عليه وسلم يقول:

{ من كان حالًا فليحلف بالله أو ليصمد. }

(أخرجه الترمذى)

{ من حلف بغير الله فقد أشرك. }

(أخرجه الترمذى)

الأصل أن المؤمن لا يحلف بغير الله، إن أراد أن يحلف يقول: والله، والأصل أنه لا يكتر من الحلف؛ لأن الكاذبين فقط هم الذين يكثرون من الحلف، والمؤمن صادق، فلا يحلف إلا عندما يستدعي الأمر قسماً، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّيَمَاكُمْ أَنْ تَبْرُوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ ۝ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (224)

(سورة البقرة)

قال أهل التفسير من معاني عرضة لِيَمَاكُمْ: الإكثار من الحلف غير حاجة، فالمؤمن لا يحلف إلا بالله، لا يقول: أقسم بعيون أمي، ولا بشرف فلان، ولا بعز الملك، لا، يقسم بالله؛ لأنه لا عظيم عنده إلا الله، فلا يقسم بشيء، وبالمناسبة بعض الرجال يقسمون بالطلاق، يخولون الطلاق الذي شرعه الله لغضّ الحياة الزوجية إلى طريقة لمنع زوجاتهم من فعل شيء، أو إثبات شيء، فيقول لها: على الطلاق، أو أقسم بالطلاق لا تفعل ذلك، ثم تفعلي ذلك، ثم تخرج، ثم يحاول أن يبحث عن فتوى، وهذا ليس حاله الآخر، فنقول له: أولاً أنت أقسمت بغير الله وهذا لا يجوز (من حلف بغير الله فقد أشرك) طبعاً الشرك الأصغر الذي لا يخرج من الملة، لكنه شرك؛ لأنه وجد أن الطلاق عنده عظيم درجة أن يقسم به، ولو كان يعلم أنه لا عظيم إلا بالله، وهذا نوع من أنواع الشرك الخفي. هذا القسم عند العرب.

أركان جملة القسم:

وجملة القسم لها أركان: أداة قسم، ومُقسَّم به ومقسَّم عليه.

• أداة القسم: و، ت، ب، والله، تالله، بالله، فيقسم بالله.

• فال المقسَّم به: الله، والمُقسَّم عليه: والله لم أره اليوم.

• فال مقسَّم عليه: عدم الرؤية، والمُقسَّم به: الله، وأداة القسم: الواو، أو الباء، أو التاء، وهي حروف جر باللغة العربية، ولكن معناها القسم، هذه مقدمة.

القسم أسلوب قرآني:



ربنا جل جلاله يقسم بما شاء من خلقه

ربنا جل جلاله في القرآن يقسم، وكثيراً ما يقسم، فالقسم أسلوب قرآني، لكن ربنا جل جلاله يقسم بما شاء من خلقه، نحن لا نقسم إلا بالله، لكن الله تعالى يقسم بما شاء من خلقه، فهو مطلق القدرة، ولا يحدّه شيء، فيقسم بما شاء من خلقه.

الآن: أنا إذا أقسمتُ أقسمُ من أجل أن أثبت حقيقة أو أدفع تهمة، لكن الله ليس بحاجة لذلك، حاشاه جل جلاله، فلماذا يقسم الله؟ ليلفت انتباها إلى المُقسم به، والمُقسم عليه، أي أسلوب بلاغي للفت الانتباه، فإذا قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالسَّمْسَسْ وَضَخَاها (1)

(سورة الشمس)

فكانما يقول لك انظر إلى الشمس وقت الصبح، وإذا قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَاللَّيلِ إِذَا يَعْشَى (1)

(سورة الليل)

فكانما يلتفت انتباهاك إلى آية الليل.
والله تعالى في القرآن **أقسم مذاته العلية**، قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَوَرَّ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ إِنَّهُ لَحَقٌ مُّثْلَ مَا أَنْكُمْ تَنْطِفُونَ (23)

(سورة الذاريات)

وأقسم بعمر النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنه عمر ثمين قضاه النبي صلى الله عليه وسلم في هداية الناس إلى الحق، فقال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لِفِي سَكُرٍ تِهْمَ يَعْمَهُونَ (72)

(سورة الحجر)

وهذا أسلوب من أساليب القسم، وأقسم بشيء من مخلوقاته كالشمس والليل والضحى والعصر والعاديات...إلخ.

من طرق القسم إضافة "لا":

ومن طرق القسم في القرآن الكريم أن يأتي قبل أقسم "لا" زائدة هدفها تأكيد القسم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (1)

(سورة القيامة)

والمعنى أقسم قسمًا مؤكداً بيوم القيمة، فهذه "لا" ليست كما يتوهם البعض لا النافية، لا أقسم، والدليل:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَلَا أَقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (75) وَإِنَّ لَقَسْمَ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (76)

(سورة الواقعة)

فالله تعالى من أساليبه في القرآن أنه إذا قال: "لا أقسم" أي أؤكد القسم، وكثيراً ما تأتي "لا" زائدة لتوكيد القسم، أو لتوكيد النفي في أماكن أخرى، فـ"لا" هدفها التوكيد وليس النفي هنا.
الآن دائماً يبحث متذمرو القرآن عن العلاقة بين المقسم به، والمقسم عليه، يعني:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالصُّخْنِ (1) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَنَ (2) مَا وَدَعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (3)

(سورة الصخر)

ما علاقة **وَالصُّخْنِ * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَنَ** بقوله **مَا وَدَعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى**؟ أحياناً تكون العلاقة واضحة جداً:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2)

(سورة العصر)

يعني إذا مضي العصر، مضى الزمن خسر الإنسان الوقت فهو خاسر، إلا إن استثمر الوقت:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا **وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالظَّبَرِ** (3)

(سورة العصر)

وسألني على ذلك في قابل الأيام، وقد جئنا عليه سابقاً.

القسم في الجزء الثلاثين:

أنا أريد أن تأخذ الجزء الثلاثين من كتاب الله، لأن هذا الجزء تكرر فيه القسم، لأن القسم من الأساليب التي تكررت في الآيات المكية عندما يريد الله تعالى لفت الانتباه إلى الخلق، لتشييف الإيمان في النفوس، فتكرر القسم في الجزء الثلاثين من كتاب الله.

القسم في سورة النازعات:

لو بدأنا بعض النماذج من بداية الجزء الثلاثين، أول ورود للقسم في هذا الجزء في سورة النازعات، قال تعالى:

يَسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالنَّازِعَاتِ عَزِيزًا (١)

(سورة النازعات)



أول ورود للقسم في الجزء الثلاثين
الوالو وأو القسم، **وَالنَّازِعَاتِ** مقسم به، ما هي النازعات؟ الملائكة التي تنزع أرواح الكفار نزعاً شديداً، **عَزِيزًا**: وكأنها تغرق في داخل الجسم لتخرج الروح، يعني بصعوده باللغة، إشارة إلى أن أرواح الكافرين بالله - والعياذ بالله - يكون خروجها صعباً، وقد ورد ذلك في السنة، أن روح المؤمن:

{ فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السَّقَاءِ }

(رواه أحمد)

أي عندك إبريق فيه ماء، وصبت الماء في الكأس فيخرج، بينما تخرج روح الكافرين - والعياذ بالله - كما يخرج السفود من الصوف المبلول،

{ فَيَنْتَرِعُهَا كَمَا يُنَتَّرُ السَّفَوْدُ مِنَ الصُّوفِ الْمُبْلُولِ }

(رواه أحمد)

يعني المنجد القديم يأتي بالسفود العصا فإذا ابتل الصوف وعلق العصا بداخلها ثم أردت أن تخرج السفود من الصوف المبلول، فكيف يكون خروجه؟ ينزع نزعاً، هذه **وَالنَّازِعَاتِ عَزِيزًا**.



الإسقاط ممنوع

وبالمناسبة لا أريد أن نطبق هذا الأمر، هذا ليس من شأننا، يعني إذا وجدنا إنساناً في حالات النزع كان النزع صعباً عليه جداً بسبب مرض أصابه أو شيء، فنحن ليس من شأننا أن نعكس الآية ونقول: عنده مشكلة بيبدو مع الله، أنت لا تدري كف خرجت الروح، ما تدري كيف يسرّ الله خروجها، كيف كان حاله مع الله في وقتها، أحياناً يكون هناك أمراض وبيلة، أحياناً نزع شديد، فأنت لا تدري حكمة الله في ذلك، فالإسقاط ممنوع، هذه خُسُن الخاتمة وسوء الخاتمة عند الله، يكفي المؤمن من حسن الخاتمة أن يلقى الله وهو راض عنه بغض النظر عن سكريات الموت، وربما يموت كافر ولا يعاني شيئاً في الظاهر، نجده على فراشه قد نام، استيقظنا وجدناه بارداً توفى، فنقول خرجت روحه خروجاً... لا تدري ما الذي حصل معه، دقّيقة الألم ساعة، ما تدري ربما في ثانية واحدة من خروج الروح أصابه من الرعب وقد رأى ملائكة العذاب ما أصابه، والعكس بالعكس، فليس من شأننا أن نقسم الناس بناءً على الغيب حتى نتباهي.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَاللَّهُشَّيَّطَاتِ نَسْطَّا (2)

(سورة النازعات)

الملائكة التي تنشط نشطاً في قبض أرواح المؤمنين، عكس ﴿وَالنَّازِعَاتِ عَرْقًا﴾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالسَّابِقَاتِ سَبْعًا (3)

(سورة النازعات)

الملائكة التي تسبح بين السماء والأرض بأوامر الله تعالى، وبالمهمات التي كلفها الله تعالى بها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالسَّابِقَاتِ سَبْعًا (4)

(سورة النازعات)

هي الملائكة التي تسحق الشياطين، وتسبق غيرها عموماً في إيصال أمر الله وتحوي الله إلى الأرض، فهي سابقة دائماً بما يريده الرحمن منها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا فُوْا أَنْعُسْكُمْ وَأَهْلِيْكُمْ نَارًا وَفُوْدِيْكُمْ النَّاسُ وَالْجَحَّارُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غَلَاظٌ شَدَادٌ
يَعْصُمُونَ اللَّهَ مَا أَمْرَهُمْ وَيَقْعُلُونَ مَا يُؤْمِرُونَ (6)

(سورة التحريم)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَالْمُذَبِّرَاتُ أَمْرًا (5)

(سورة النازعات)

كل ملك يدير أمرًا من الله عز وجل، وهناك أمين وهي السماء، وهناك الموكيل بالأرزاق، وهناك ملك لتسجيل الحسنات والسيئات وغير ذلك، فهي تدير الأمر، الله تعالى هو الذي يدير الأمر، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يُدِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَتَةٍ مَّا
تَعْدُونَ (5)

(سورة السجدة)

- لكن يكلف ملائكته بما شاء، لاعجز عنده جل جلاله، ولكن لإظهار قدرته وطلاقة قدرته جل جلاله، فقال: **فَالْمُذَبِّرَاتُ أَمْرًا**.
إذاً صار معنا قسم مكون من خمسة أمور:
1. **وَالثَّارِغَاتِ عَرْفًا** الملائكة التي تنزع أرواح الكفار نزعًا شديداً.
2. **وَالثَّابِثَاتِ تَسْطِلًا** التي تنشط في أخذ أرواح المؤمنين بيسر وسهولة.
3. **وَالشَّابِخَاتِ سَبْعًا** الملائكة التي تسبح بين السماء والأرض، ولها أجنة كما وصفها المولى جل جلاله وهذا كل من الغيب الذي نؤمن به وإن لم نره نحن المؤمنين.
4. **فَالسَّابِقَاتِ سَبْعِيًّا** الملائكة التي تتسارع إلى تنفيذ أمر ربها فتنسبق كل شيء، تسحق الشياطين وتسبق غيرها.
5. **فَالْمُذَبِّرَاتُ أَمْرًا** الملائكة الموكلة بتدبير أمور العباد وفق ما يريده مدير الأمر جل جلاله.
أين جواب الفسم؟ قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (6)

(سورة النازعات)

الحقيقة جواب القسم محذوف، لا يأتي في اللغة العربية جواب قسم **يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ**، وهو محذوف لأن دل عليه **يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ** جواب القسم هو **فَالْمُذَبِّرَاتُ أَمْرًا** إنكم ستبغون يوم القيمة للحساب **يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ**، جواب القسم مصقر دل عليه **يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ**، ما الذي سيحصل **يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ** الوقوف للحساب بين يدي الله تعالى.

علاقة المقسم به بالمقسم عليه:

ما علاقة المقسم به بالمقسم عليه بأننا سنقف بين يدي الله للحساب؟ علاقة واضحة جداً ما دام الملائكة الموكلة بالأمور تقضي الأرواح، ماذا بعد قبض الأرواح؟ الوقوف بين يدي الله تعالى، فليس بعد نزع أرواح الكافرين، وأخذ أرواح المؤمنين بيسر وسهولة، وتدير الأمر بين السماء والأرض من قبل الملائكة، ليس بهذه فناء وعدم، وإنما بهذه وقوف بين يدي الله تعالى للحساب، هذا الرابط بين المقسم به والمقسم عليه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاحِقَةُ (6) تَبَعُّهَا الرَّاجِفَةُ (7) قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ (8) أَبْصَارٌ هَا حَانِشَعَةٌ (9)

(سورة النازعات)

إلى آخر السورة، هذا النموذج الأول.

القسم في سورة التكوير:

النموذج الثاني ورد في سورة التكوير، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَلًا أَفْسِمُ بِالْجُنُسِ (15)

(سورة التكوير)

يعني أقسم قسماً شديداً بالجنس:

قَلًا أَفْسِمُ بِالْجُنُسِ (15) الْجَوَارِ الْجَنَّسِ (16) وَاللَّيلِ إِذَا عَسْعَسَ (17) وَالصَّبَّحِ إِذَا تَقَسَّسَ (18) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (19)

(سورة التكوير)



الجنس هي النجوم التي تخنس تختفي نهاراً

هذا القسم أيضاً مكون من أربعة أقسام؛ الأول: الجنس، الجذر جنس يدل على الاختفاء، الوسواس الخناس، الشيطان خناس لأنه يخنس عند ذكر الله تعالى، أي يختفي، يبطل أثره عند ذكر الله، فليس له سلطان على الإنسان، الجنس: هي النجوم التي تخنس تختفي نهاراً، أو هي التي يختلف مطلعها فتخفي من مطلع إلى آخر كل عام، فالعرب كانوا يعرفون الجوم حتى في التفاسير القديمة مذكور الكواكب زهرة وعطارد... إلخ، كانوا يعرفوها والعرب عندهم هذا العلم، وإن كان بيساطته قبل اكتشاف المجاهر وغيرها، كانوا يعرفونها كان لها مطالع، وكل عام ترجع وتطلع من مكان آخر، وهذا يسمى تخنس النجوم، الجواد لأنها تجري، وحذفت الياء تخفيفاً، الجواد جمع جارية، ونقول للنساء الجواري، الإماماء، والنجوم تجري.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقِرٍ لَهَا □ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (38)

(سورة يس)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَا السَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُذْرِكَ الْفَمَرَ وَلَا اللَّيلُ سَابِقُ النَّهَارِ □ وَكُلُّ فِي قَلْكِ يَسْبِحُونَ
(40)

(سورة يس)

والجري هنا تعبر عن السرعة، فهي لا تمثلي مشياً بسيطاً، نحن يحيط إلينا أنها نراها في مكانها بسبب الأبعاد الهائلة التي بيننا وبينها، ولكن هي تجري، فالضوء الذي نراه الآن هو لموقع النجم وليس للنجم، أما النجم فالله أعلم أين مكانه، فهو يجري.

﴿الكتن﴾: كتن تأتي لمعنى، تأتي للستر، وتأتي للخفاء، يعني هي متصادرة، أنت تكتن الأرض فتظهر وجهها، عندما تكتن الغبار يظهر وجه الأرض، هذا الظهور، وذهب الطياء إلى كناسها؛ إلى مخانئها فاختبأ، فهنا بعض العلماء قالوا: الكتن الذي تظهر في الليل، وختفي في النهار، أو التي تختفي عند الغروب ثم تظهر، فهو يدل على الأمرين معاً.

بعض العلماء ومنهم الدكتور زغلول النجار حفظه الله ذهبوا إلى أن هذا من باب الإعجاز العلمي وفسروا الآيات بأنها تدل على الثقوب السوداء، الظاهرة العلمية الحديثة فقالوا: هذه تكتن وتدخل في مخينها كما تدخل الطياء إلى كناسها، واليوم معروف الثقب الأسود الذي تدخل فيه النجوم وهو مقبرة النجوم، وهذا بحث طويل لست اختصاصياً فيه لأخوض فيه، ولكن قرأت بحث الدكتور زغلول، وهو مناسب لهذا المقام، تفسير جديد.

من عظمة القرآن أن التفسير الجديد لا ينقض القديم:

والقرآن من عظمته أن تفسيراً جديداً لا ينقض تفسيراً قديماً، فأحياناً يكون التفسير بسيطاً، ثم يأتي من العلم ما يأتي بمعانٍ جديدة، مثل:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالسَّمَاءُ ذَاتُ الرَّجْعِ (11)

(سورة الطارق)

• العربي كان يقرأ ﴿وَالسَّمَاءُ ذَاتُ الرَّجْعِ﴾ يعني أبسط معنى: بخار الماء يتتصاعد إلى السماء فيرجع مطرأً، المساحات المائية الكبيرة في الأرض يحصل التبخّر، التكاثف، ينزل المطر، إذًا: ﴿وَالسَّمَاءُ ذَاتُ الرَّجْعِ﴾.

وبعد حين لما اكتشفوا البث الإذاعي يقول الآن نبث عبر الأثير، عبر الهواء مباشرة، على الهواء مباشرة، إذًا ﴿وَالسَّمَاءُ ذَاتُ الرَّجْعِ﴾ لأنك تطلق فيها الموجة الكهرومغناطيسية فتعود بثاً إذاعياً لك تسمعه في أي مكان في الأرض، والآن نحن على المباشر يسمعنا ربما الناس في بلدان أخرى لأن السماء ذات رجع، تلتقط الأمواج.

• ثم اكتشفوا أن كل شيء في السماء يدور ورجع إلى مكان انتلاقه النسبي ﴿وَكُلُّ فِي قَلْكِ يَسْبِحُونَ﴾، وكل المعاني واردة لـ ﴿وَالسَّمَاءُ ذَاتُ الرَّجْعِ﴾.

فهنا التفسير الحديث هو الثقوب السوداء، وهو لا ينافي ما قلنا من الظهور والختفاء في السماء، أو الاختفاء الكلي وكأنها مكتنزة تكتن الجوم في مقبرتها في الثقب الأسود، يقولون مثلاً: لو أن الأرض دخلت في الثقب الأسود لأصبحت بنفس الوزن بحجم البيضة، يعني الكثافة عالية جداً هناك، وهذا بحث علمي له أهله.

﴿وَاللَّيْلُ إِذَا عَسْقَلَ﴾: عسعن مثل زلزل، قلقل، أي أصلان مصغان عسعن، يدل على شيئاً؛ يدل على الإقبال والإدار، وهذا من بلاغة اللغة العربية، في آية أخرى قال تعالى في سورة المدثر:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَاللَّيْلُ إِذَا أَذْرَ (33) وَالصُّبْحُ إِذَا أَسْفَرَ (34)

(سورة المدثر)

إذ: للماضي، أذبر وانتهى، ﴿وَالصُّبْحُ إِذَا أَسْفَرَ﴾ الآن.



هنا ربما تكون المعنى إذ **وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَغَسَنْ** يعني أقبل، لأن إذا لما يستقبل من الرمان، **وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَغَسَنْ** صار هناك توازن، صار هناك تناسق بين إقبال الليل وأقبال النهار، **وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَغَسَنْ** أي أقبل، **وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَنْ** تنفس: استعارة في اللغة العربية، فالكائن الحي يتنفس، فجعل للصبح شخصاً وكأنه شخص يتنفس عبد الصباح للاشارة إلى أنها تنفس الصباح الذي فيه النشاط، وفيه الحيوة، وفيه الطاقة، وفيه الإيجابية، وفيه السعي للحياة، فكأنه يتنفس من جديد ليفتح لنا الأفاق الجديدة، **وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَغَسَنْ** أقل أو أدير، والأولى هنا أقبل، **وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَنْ**.

جواب القسم: **إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ**، القرآن الكريم مُنْزَلٌ من عند الله تعالى إلى رسوله صلى الله عليه وسلم عن طريق جبريل الأمين، فهو ليس بشعر، ولا بكتابه، ولا يقول محمد صلى الله عليه وسلم، ما علاقة القسم بجواب القسم؟

علاقة القسم بجواب القسم:



كمال الخلق يدل على كمال التصرف

علاقة القسم بجواب القسم يا أحبابنا، أن كمال الخلق يدل على كمال التصرف، الذي خلق الأكون هو الذي أنزل القرآن، يعني عظمة الخلق تدل على عظمة الكلام، هناك مثلك شعبى بوضوح هذه الحقيقة؛ كان هناك شخصاً ليس بذلة فاخرة جداً، ويضع ربطة عنق فاخرة جداً، ثم تكلم بكلام سخيف جداً، وساقط جداً، وذيء جداً، فقال له أحد الجالسين: إما أن تتكلم كلاماً يليق بثيابك، أو أن تلبس ثياباً تتناسب كلامك. هذا الكلام لا يخرج من إنسان يرتدي بذلة وربطة عنق، يخرج من إنسان يرتدي ثياباً رثة والعفو منكم.

فالخلق يدل على التصرف الصحيح، فربنا عز وجل الذي خلق **الجَوَارِ الْكَنْسِ * وَاللَّنْلِ إِذَا تَنَفَّسَنْ * وَالصُّبْحُ إِذَا عَسَغَسَنْ** وخلق النجوم بهذه العظمة التي نرونها سبكون كلامه عظيماً مُنْزَلاً من عنده، وبكافئ هذا الخلق العظيم، لا يسيرون مع بعضهم، كيت أضرب مثلاً سمعته من شيخنا الدكتور راتب حفظه الله يقول: إذا أردت أن تشتري كيلوغراماً من الطماطم تنزل إلى باائع الخضار وتقول له يكم الكيلو؟ نصف دينار، تعطيه ديناراً فيعطيك كيلوغراماً، يزنها وتدهب، فمن غير المناسب أبداً أن تقول له: أنا محمد وفقك الله أريد أن ترسل لي عرض سعر للطماطم، فأنا أريد أنأشتري كيلوغراماً، أرسل لي عرض سعر على الإيميل كي أفارق بينك وبين أبي سعيد بالأسعار، أما إذا أردت أن تشتري منه حاسوب لشركتك المنشاة حديثاً، فإنك تأخذ بطاقة طازرة إلى مايكروسوفت، وهناك تنزل في الفندق، وتقابل المدير، ويقدم عروض أسعار ومواصفات، ويرسل الإيميلات، ثم تدفع دفعه مقدمة، ثم تنتظر بور بصات الشحن، ثم تستلم، ثم تدفع.

بناء مايكروسوفت وحجمها يتناسب مع هذا التصرف، ودكان أبي سعيد وربما هي أفضل من مايكروسوفت عند ربنا لا علاقة لها بالموضع تصرف آخر. فدائماً البناء يحتاج إلى تصرف مختلف، فالذي بنى الكون العظيم بهذا التناسق العجيب كلامه لابد أن يأتي بهذا المستوى العظيم **إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ** فضل كلام الله على كلام خلقه كفضل الله على خلقه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (19) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (20)

(سورة التكوير)

القسم في سورة الانشقاق:

المثال الثالث والأخير، طبعاً سنكم إن شاء الله كل جزء عمّ، ولكن اليوم المثال الثالث والأخير هو الذي جاء في سورة الانشقاق، هذا مثال جميل جداً، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَلَا أُفْسِمُ بِالشَّقِيقِ (16) وَاللَّيْلُ وَمَا وَسَقَ (17) وَالْقَمَرِ إِذَا أَنْسَقَ (18) لَتَرْكَيْنَ طَبَقًا عَنْ طَبِيقِ (19)

(سورة الانشقاق)

﴿فَلَا أُفْسِمُ﴾ يعني أقسم قسماً مؤكداً، ﴿بِالشَّقِيقِ﴾: الحمراء بعد الغروب التي تظهر في الجو.



الليل له هيبة

﴿وَاللَّيْلُ وَمَا وَسَقَ﴾: وسق: أي جمع، أي ما جمع الليل من دواب الأرض وهومها والطلام والشياطين، وغير ذلك مما يهابه الإنسان، فالليل له هيبة، ﴿وَاللَّيْلُ وَمَا وَسَقَ﴾: أي وما اجتمع فيه من شرور، أو من خير أجيانا، ﴿وَمَا وَسَقَ﴾، ما فيه، طبعاً ما فيه من خير للمؤمن، يقوم الليل بين يدي الله تعالى، ينادي ربه، وما فيه من شرور للبعيد عن الله عز وجل، تجد قائماً بالليل في المسجد يصلى، وتجد إنساناً يستغل الليل في ملهي ليلي والعياذ بالله، وكل حسابه عند ربه ﴿وَاللَّيْلُ وَمَا وَسَقَ﴾ أي جمع.

﴿وَالْقَمَرِ إِذَا أَنْسَقَ﴾ اكتمل نوره وبهاوه في ليلة القدر، نظرت إلى السماء فوجدها قد انسق بدورانه الكامل، ونوره العظيم، وحمله الجميل، فتفوّل: رب وربك الله. ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا أَنْسَقَ﴾.

جواب القسم: ﴿لَتَرْكَيْنَ طَبَقًا عَنْ طَبِيقِ﴾: يعني لتنقلن من حال إلى حال، كيف من حال إلى حال؟ قبل الولادة ذكرها المولى جل جلاله نطفة، علقة، مضفة مخلقة، وغير مخلقة، عظام،

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَمْ حَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَحَلَقْنَا الْعُلَقَةَ مُضْعَةً فَحَلَقْنَا الْمُضْعَةَ عِطَامًا فَكَسَوْنَا الْعِطَامَ لَهُمَا لَمْ أَنْسَأْهُمْ أَنْسَأْهُمْ حَلْقًا آخَرَ ۝ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (14)

(سورة المؤمنون)

انتقال من حال إلى حال، ﴿طَبَقًا عَنْ طَبِيقِ﴾، بعد الولادة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَبِّ مِنْ الْبَعْثٍ فَإِنَّا حَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْعَةٍ مُخْلَقَةٍ وَغَيْرُ مُخْلَقَةٍ لِتُبَيَّنَ لَكُمْ ۝
وَنُنَزِّلُ فِي الْأَرْضِ مَا تَسَاءُلُ إِلَيْ أَخْلِ مُسَمَّي يُنَزِّلُ نُخْرِجُكُمْ طَفْلًا ثُمَّ لَيَأْتُوكُمْ ۝ وَمِنْكُمْ مَنْ
يُنَوِّقُ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرْدُ إِلَى أَرْذِ الْعُمُرِ لِكِيلًا يَعْلَمُ مِنْ تَعْدِ عَلْمٌ شَيْئًا ۝ وَتَرَى الْأَرْضَ هَادِهً فَإِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَرَرْ وَرَبَتْ
وَانْبَثَتْ مِنْ كُلِّ زَرْقٍ تَهِيجٍ (5)

(سورة الحج)

فهناك أحوال قبل الولادة، وأحوال بعد الولادة، هذا الانتقال من حال إلى حال هو طبقاً عن طبقه، نحن ما شهدنا خلقنا ولكن ربنا عز وجل قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَتَبَّعَنَ شُهُودًا (13)

(سورة المدثر)

يعني تبوك يشهدون لك بطريق عن طبق الذي كنت فيه، فأنت لما تراهم تقول: أنا كنت هكذا؟ كنت مستلقياً بعمر يومين ولا أستطيع الحركة، وأمي تأخذني وتنظفي، فابنك يشهد لك وتبين شهوداً، فاليوم البنين الشهود تنظر فيها طبقاً عن طبقه، يولد المولود

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
<وَاللَّهُ أَخْرِجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَا إِذْ لَمَّا كُنْتُمْ شَيْئًا> وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ
وَالْأُفْنَدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (78)

(سورة النحل)



(لتَرْكَنَ طَبِيقاً عن طَبِيق) تجسيد لمисرة الأنسان

أبداً، فتجد الغلام لا يستطيع أن ينطق بكلمة، ثم بهمس بالكلمة الأولى فُقام الدنيا ولا تقعده، وُصُورَ اليوم وُرسَلَ للعائلة، ويفرج الجميع بأنه بدأ يقول: بابا، باباً أي قال بابا، باباً الغلام ابتدأ يقول با، لأن أسهل الحروف الباء من الشفتين، وبعدها ماما، وبعدها عمـو فُقام حفلة، وبعدها كبر قليلاً وحفظ سورة الفاتحة، فيصبح كلما جاء شخص إلى البيت يقول له قم وسمع لعمك سورة الفاتحة، وهو يتلعلع بها ولعثته فيها أحب إلى قلبك من قراءة محمود الحصري لجمالها في قلبك، لأنه يقرأ الفاتحة، وبعدها يدخل المدرسة، وُقام حفلة خاصة، فيذهب إلى الروضة ويعود منها حاملاً حقيبة المدرسة، وبعدها يصل للسادس، وبعدها التاسع، وبعدها التوجيهي، فيستتر البيت كلـه، وينجح ويدخل الجامعة ويتخرج مرتدياً ثياب التخرج، وبعدها يتزوج، وفي الشام كان يذهب لخدمة العلم وهذه لوحدها لها مسيرة، ثم يتزوج، ثم يكبر ثم يُزوج أولاده وأئتيه الأحفاد، ثم يعود حاله الطفل الصغير، يعيد القصة أحياناً أكثر من مرة، فلا ينتبه لنفسه، يطعمه أحد فينزل الطعام متلماً كان صغيراً، ثم تُطبع النعوة، وتتعلق على الجدران، **لَتَرْكَنَ طَبِيقاً عن طَبِيق**.

هذه حال الدنيا، ولقت نظري على العيس يوك صورة كرسي صغير، عربة بجلس فيها طفل، وعربة أخرى لكرسي كبير لشخص مقعد يساعدونه فيها، نسأل الله أن يمتعكم بصحتكم إلى آخر يوم في حياتكم، فكتبا ما بين العربة الصغيرة والعربة الأخرى تمضي رحلة العمر، هذه **لَتَرْكَنَ طَبِيقاً عن طَبِيق**.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (20)

(سورة الانشقاق)

علاقة القسم بحواب القسم:

هذه حالك، ما علاقة القسم بحواب القسم؟ واضح جداً، انتهوا يا كرام، **فَلَا أُفْسِمُ بِالشَّقْقَةِ *** **وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ *** **وَالْقَمَرِ إِذَا أَنْسَقَ**. هذه كلها أحوال: القمر: هلال وينمو قليلاً ليصبح بدرأ، ثم يتاكل من الطرف الآخر ويختفي وبطهير من الطرف الآخر **طَبَقَ عَنْ طَبَقِهِ**. والشقق: يأتي وبختفي وباتي الفجر وبعد الليل، **وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ**: يأتي الليل وبعده النهار، فكما يتعاقب حمرة الشفق مع بياض الفجر، وظلام الليل مع نور النهار، الهلال مع المحاق مع البدرا:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالْقَمَرَ قَدَرْتَاهُ مَتَازَلَ حَتَّىٰ غَادَ كَالْغُرْجُونِ الْقَدِيمِ (39)

(سورة يس)

كما هذه الأحوال التي ترونها في الكون هذا حالك **طَبَقَ عَنْ طَبَقِهِ** يعني لتنقلن من حالة إلى حالة، هذه حال الدنيا.

وهذه ثلاثة أقسام، الأولى في سورة النازعات، والثانية في سورة التكوير، والثالثة في الانشقاق، وإن شاء الله وبإذنه تعالى، إن أحيانا الله سنتابع الأقسام الموجودة في الجزء الثلاثين، ربما يحتاج جلسة ثانية، أو جلستين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.